التجديد النحو عند اللغويين العرب

Aang Saeful Milah
UIN Sultan Maulana Hasanuddin Banten
aang.saefulmilah[at]uinbanten.ac.id

ملخص البحث

لا يخفي أن قضية التراث تعد إحدى القضايا المفصلية في الفكر العربي؛ إذ إنها شغلت حيزا معتبرا في الجدال الفكري والنظري بين المفكرين العرب المعاصرين في المشرق والمغرب. ومدار الخلاف بينهم على مسألتين رئيستين: تتعلق الأولى بمشروعية البحث في التراث، أي السؤال عن جدوى وضرورة التفكير في التراث، وعن ضروب العلاقة التي يمكن أن تكون له بالحاضر ودوره في بناء المستقبل. وتتعلق الثانية بكيفية قراءة هذا التراث، والمناهج الكفيلة بتقديم القراءة الملائمة له. أما فيما يتصل بسؤال المشروعية، فقد انتهى الأمر إلى التسليم بأن التعامل مع التراث أمر لا انفكاك عنه، لأن التراث حاضر فينا، وهو "جزء من انشغال الإنسان بذاته، بدراستها وبنائها."

الكلمات الدليلية: النحو، التجديد، اللغويون، العربية

المقدمة

يظن معظم الدارسين أن مصطلح (النحو) ظهر بعد مصطلح (العربية) أو (علم العربية)، وذلك عندما ظهرت فئة أو طبقة من المعلمين الذين أخذوا يعلمون الناس قواعد العربية لكي تستقيم ألسنتهم بعد تفشي اللحن فيهم، وكان هذا المصطلح- أول ما ظهر- يشير إلى القواعد التعليمية التي تعلمها الناس لكي يلحقوا

بالعرب الفصحاء في إجادتهم العربية[١]. كما تدل كلمة (نحويين) على تلك الطبقة من الناس التي أخذت تشتغل بتعليم النحو أي القواعد التعليمية[٢]، وهو يختلف عن العربية أو علم العربية الذي كان يشير إلى الدراسة العلمية للغة العربية، إلاّ أننا نجد من يسوي بينهما كأبي حيان الذي يرادف بينهما مستدلا بقول سيبويه: (هذا علم ما الكلم من العربية)[٣].

دراسة القواعد النحوية مهمة لأنها وسيلة لضبط الكلام العربي، وصحة نطقه وكتابته. وقد بذل اللغويون من أجل بناء النحو وتكوينه جهودا مضنية، حتى أوصلوه إلينا علما مستقرا مسايرا لنصوص استنتج منها ولأجلها، ولقي من الأمة عناية واهتماما عبر عصوره عرف فيها بالمرونة واستساغته من قبل طلابه العرب وغيرهم[٤].

وفي تدريس القواعد النحوية، يجد المعلمون صعوبات بالغة عند الدارسين في أعمالهم التحريرية وفي إعراب الكلمات والجمل ومعرفة موقعها ونوعها وحركتها

[١] ينظر: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص ٢٣ .

[٢] ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج ٥، ص ١٦٣

[٣] ينظر: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي؛ نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض ١٩٨١م، ط١، ص ٩ .

[٤] ينظر: الشيخ أحمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص ١٣-١٦.

الإعرابية، فمنهم من يشعر بأنه مادة جافة، ومن يرى أن قواعده صعبة الفهم، ومن يحس العجز عن تطبيقها في سهولة. وهذه الظاهرة في حاجة إلى بحث علمي ينتهي إلى معرفة مظاهرها، والأسباب الكامنة وراءها[٥].

الدعوة إلى التيسير والتجديد

لقد أدرك اللغويون القدماء صعوبة النحو على المتعلمين. قال بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين؛ فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من لا نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم من كلامه شيئاً، فأبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ)، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)"[٦].

تعتبر صعوبة النحو حالة مستمرة إلى عصرنا الحاضر. وإذا نظرنا إلى تراثنا النحو العربي سنجد فيه أفكارا ومبادئ عميقة نحتاج إلى استخراجها من هذا التراث. ومن أهم المشكلات البارزة التي يجدها اللغويون في نظرية النحو العربي هي

---

[٥] ينظر: د.كمال بشر، في اللغة العربية ومشكلاتها، دار غريب، القاهرة ٢٠١٢، ص ١٩. وينظر: د.محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة٢٠١١، ط١، ص٢١٠-٣٠٧.

[٦] أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥م، ص ٢٣٤. وينظر: د.كمال بشر، في اللغة العربية ومشكلاتها، ص ٨٥-٨٨.

"الاضطراب المنهجي وكثرة العلل الثواني والثوالث أو العلة وعلة العلة والمبالغة في نظرية العامل اللفظي والمعنوي وكثرة التقديرات والاتكال على العلامة الإعرابية"[٧].

والآن، مازلنا نسمع عن دعوة تجديد النحو وتيسيره من أولئك القائمين على خدمة اللغة من علماء النحو والباحثين والمجامع اللغوية، لأجل تخليص النحو مما علق به طيلة عصور من الزمن. مثال ذلك ما صرح عنه د.عبد الرحمن أيوب[٨] في مقدمة كتابه: "ولقد بلغت الشكوى من النحو العربي مدى أصبح من غير الممكن أن يتجاهل، وكثر حديث الناس عن الحاجة إلى نحو جديد. وظن الكثير أن الأمر لا يعدو إعادة تدوين النظريات النحوية بأسلوب حديث. ولكن الأمر عندي أعمق من كل هذا، فالنحو العربي- شأنه في ذلك شأن ثقافتنا التقليدية في عمومها- يقوم على نوع من التفكير الجزئى الذي يعنى بالمثال قبل أن يعنى بالنظرية. ومن أجل هذا جهد النحاة في تأويل ما أشكل على القاعدة من أمثلة أكثر مما جهدوا مراجعة منطقهم ونظرياتهم على ضوء ما يشكل عليها"[٩].

نظرا إلى المشكلة الموجودة في النحو، يدعو د.مهدي المخزومي إلى تجديد النحو، حيث قال: "لقد أصبحت الحاجة إلى نحو جديد، خلو مما علق به في تاريخه

[٧] د.جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دا الفارابي، بيروت ٢٠١٣، ط١، ص ١٨-٢٧.

[٨] حصل دكتوراه من جامعة لدن في الدراسات اللغوية وكان أستاذ علم اللغة والأصوات في جامعة الكويت.

[٩] د.عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح ١٩٥٧م، ص (د).

الطويل من شوائب ليست منه، مدروس وفق منهج يلائمه، مبرأ من هذه التعليلات الفلسفية التي اصطنعها القوم والتي أتت على حيوية هذا الدرس اللغوي، فعصفت بها، وانتهى الأمر بهذا الدرس إلى أن يكون مصدر برم وضيق لا حد لهما"[١٠]. وغير ذلك من اللغويين المعاصرين[١١].

ويرى بعض اللغويين أنها من العيوب الموجودة في التفكير النحوى التقليدى، كما أضاف إليه د.عبد الرحمن أيوب. حيث قال: "لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبنى القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثم يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التى يقول بها"[١٢]. ولعل هذا العيب وتلك العلل مما يرجع إلى المنهج الذي سلكه النحويون الأوائل، وسار على هديه خلفهم من الذين تعاقبوا على بناء صرح النحو العربي.

[١٠] ينظر: د.مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ١٩٨٦م، ط٢، ص ٢٧.

[١١] ومن أبرز الدعوات التي أفرد مؤلفوها كتبا تستقل بموضوع تجديد النحو العربي أو تطويره أوتيسيره أو نقده وتحليله في القرن العشرين: ١- إبراهيم مصطفى في كتابه: إحياء النحو (١٩٣٧م). ٢- د.تمام حسان دعا لتجديد النحو في كتابيه: العربية بين المعيارية والوصفية (١٩٥٨م) واللغة العربية معناها ومبناها (١٩٧٣م) ٣- د.مهدي المخزومي في كتابه: في النحو العربي نقد وتوجيه (١٩٦٤م) ٤- د.إبراهيم السامرائي في كتابه: النحو العربي نقد وبناء (١٩٦٨م) ٥- عبده الراجحي في كتابه: النحو العربي والدرس الحديث (١٩٧٩م) ٦-أحمد عبد الستار الجواري في كتابه: نحو التيسير (١٩٨٤م) ٧-د.عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية (١٩٨٥م) ٨- د.أحمد عبد العظيم عبد الغني: القاعدة النحوية، دراسة نقدية تحليلية (١٩٩٠م) ٩- د.يوسف الصيداوي: الكفاف (١٩٩٩م) ١٠- د.زكريا أوزون: جناية سيبويه، الرفض التام لما في النحو من أوهام (٢٠٠٢م) ١١-د.خليل كلفت: من أجل نحو جديد (٢٠٠٨م) ١٢- د.رابح بو معزة: تيسير تعليمية النحو، رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية (٢٠٠٩م).

[١٢] د.عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص (د).

ومعلوم أن منهج القدماء قام على ركنين أساسيين هما السماع والقياس؛ ففي السماع قام المنهج على تحديد القبائل العربية التي يحتج بلغاتها، فقد اعتمد على القبائل التي تقطن قلب الجزيرة العربية، واستبعدت من الاحتجاج القبائل المنتشرة على السواحل والقريبة من الأعاجم. وأكده د.عبد الرحمن أيوب "وقد يكون من الصحيح أن النحاة قد عنوا بأخذ العربية من أفواه العرب، ولكن الذي لا شك فيه أنهم قد خلطوا بين القبائل ولم يميزوا بين اللهجات، فيما عدا القليل مما حكوه عن قبيلة أو أخرى مما هو أكثر علاقة بتفاصيل الموضوعات النحوية وأسسها"[١٣].

ولا شك أن لغات القبائل التي اعتمد عليها النحاة، لا تشتمل على جميع لغات القبائل الأخرى ولهجاتها، من تراكيب وأساليب وتصرف في استخدام اللغة. ومن هنا جاءت بعض الأحكام والقواعد النحوية قاصرة، وجائت من النحاة شواهد كثيرة وأساليب عديدة، فصاغوا أحكامهم بناءً على استقراء ناقص، ولو وسعوا دائرة الاحتجاج، لتغيرت بعض تلك الأحكام والقواعد، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة[١٤].

[١٣] د.عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص (د).

[١٤] من ذلك، القاعدة التي صاغوها بأن الفعل المسند للظاهر المثنى أو الجمع يجرد من علامة التثنية و الجمع، يقول ابن مالك: "وجَرِّد الفعل إذا ما أُسنِدا # لاثنين أو جمع كـ (فاز الشهدا) ". ويقول ابن عقيل في شرحه: "مذهب جمهور العرب أنّه إذا أسند الفعل إلى ظاهرٍ - مثنى أو مجموع- وجب تجريده من علامةٍ تدل على التثنية أو الجمع، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد ". غير أنّ واقع لغة العرب يخالف ذلك، فهناك شواهد شعرية عديدة ألحقت فيها علامة التثنية أو الجمع للفعل المسند إلى ظاهرٍ- مثنى أو مجموع من ذلك قول الشاعر: يَلُومُونَنِي في اشْتِراءِ النَّخيـ # ـلِ أَهْلِي، فَكلُّهم يَعْذِلُ. وقول عبد الله بن قيس الرقيات: تَوَلَّى قِتَالَ

لو اطلعنا على كتب التراث النحوي، التيسير لم يكن حديث العصر، بل سعى إليه كثير من علماء النحو في كل عصور، وجد في تاريخ النحو أئمة يؤلفون صنفين من الكتب، صنف تعليمي مثل كتاب تلقين المتعلم من النحو للدينوري (ت٢٧٦هـ) وصنف علمي مثل كتب سيبويه (ت١٨٠هـ)، لأنهم "رأو عقول المتعلمين قاصرة عن إدراك هذا التعمق الفلسفي، فأحجروا الكلام على ما يسهل على المتعلمين، وهم يعنون ماذكرناه، ثم هم خوف الالتباس يصرحون في كتبهم الموسعة بما هو الحقيقة، وما يقصدون من تأويل كلامهم"[١٥].

حقيقة تيسير النحو وتجديده

ويفرق بعض اللغويين بين مصطلحي التيسير والتجديد. فالمشتغلون بالحقل التربوي يرون أن التيسير لا يمس أصول النحو ومصطلاحاته، إنما يقتصر على الحذف والاقتصار وإعادة ترتيب الأبواب والموضوعات. في حين أن دارسين آخرين يشترطون أن تسبق التيسير خطوة جريئة، تتوخى تجديده أو إحيائه أو إصلاحه[١٦]. وبعبارة

المارِقِينَ بِنَفْسِهِ # وَ قَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وحَمِيمُ. و قول العتبي : رَأَيْنَ الغَوانِي الشّيْبَ لاحَ بِعَارِضِي # فَأَعْرَضَ عَنيّ بالخُدودِ النَواضِرِ.

[١٥] محمد أحمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، مصر، ص ٨٤.

[١٦] ينظر: د.بوبكر حسيني ود.سعاد شرقاوي، تيسير النحو وتجديده ضرورة وخطورة، مجلة الأثر، الجزائر ٢٠١٥، العدد ٢٣، ص١٥٢.

أخرى، يرى الباحث إلى التجديد بوصفه مهمة لغوية عامة، بينما التيسير هو مهمة تربوية خالصة.

المشتغلون بالحقل التربوي يرون مفهوم تجديد النحو بتكييف النحو مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين. فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو، لا في النحو ذاته[١٧]. وما يلاحظ على الكثير من دعواتهم بالتجديد أنها اقتصرت على تجديد النحو التعليمي وتيسيره للتلاميذ. ونجد أن دعوات تجديد النحو أو تيسيره تخلط بين هذين المصطلحين وأهداف تجديد كل منهما، فكل دعوة للحذف أو الإيجاز أو الشرح أوالتقريب هي دعوة لتيسير عملية تعليم النحو وليست تجديدا في علم النحو ذاته.

وقال د.مهدي المخزومي في هذا المجال؛ "ظهرت محاولات لتيسير النحو في الكتب المدرسية، إلا أنها لم تقدم جديدا، ولم تفعل شيئا يعيد إلى هذا العلم قوته وحيويته، لأنها لم تصحح وضعا ولم تجدد منهجا ولم تأت بجديد إلا إصلاحا في المظهر، وأناقة في الإخراج، أما القواعد فهي هي، وأما الموضوعات فكما ورثناها، حتى الأمثلة لم يصبها من التجديد إلا نصيب ضئيل"[١٨].

[١٧] انظر: د.عبد السلام المسدي، تجديد النحو؛ أبعاده وحدوده، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر ٢٠١٢، مج٨، ع١٦، ص١٠-١٣.

[١٨] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي؛ نقد وتوجيه، ص ١٥.

وقال د.مهدي المخزومي أيضا: "فالتيسير إذا ليس اختصارا، ولا حذفا للشروح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها، ولن يكن التيسير وافيا بهذا مالم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا العلم وموضوعاته أصولا ومسائل، ولن يتم هذا-فيما أرى-إلا بتحقيق هاتين الخطوتين": [١٩]

الأولى: أن نخلص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرها عليه منهج دخيل، هو منهج الفلسفة الذي حمل معه إلى هذا الدرس فكرة (العامل).

الثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي، ونعين نقطة البدء به، ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه.

لقد ابتدأ اللغويون بتجديد قضية النحو العلمي منذ أن بدأ ابن مضاء بدعوته إلى إسقاط القول بالعامل، وإسقاط العلل الثواني والثوالث، وتمارين الصرف[٢٠]. على ذلك، فإن من أهم محاور دعوات تجديد النحو هي إلغاء نظرية العامل والإعرابين؛ التقديري والمحلي[٢١].

[١٩] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي؛ نقد وتوجيه، ص ١٥-١٦.

[٢٠] انظر: ابن مضاء (ت٥٩٢هـ)، الرد على النحاة، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة١٩٧٩هـ، ط١، ص٩.

[٢١] ينظر: النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة للدكتور جنان التميمي، ص٤٦-٥٦.

محاولات المعاصرين في تجديد النحو

السؤال الذي لابد من تقديمه في هذا الصدد هو: هل قام المعاصرون بتجديد النحو؟ وما هي وجوه التجديد لديهم؟ وما الذي أضافوه للنحو العربي؟ وهل اتسمت محاولاتهم باستحضار الجديد في النحو أم هل بقيت أسيرة القراءة الناقدة التي لم تضف إلى النحو شيئا؟ وما تأثير ذلك على الأحكام النحوية؟.

١. محاولة إبراهيم مصطفى(ت١٩٦٢م)[٢٢]:

قال إبراهيم مصطفى: "ولقد تميز عندي نوعان من القواعد: نوع لا تجد في تعليمه عسرا، ولا في التزامه عناء ولا ترى خلاف النحاة فيه كبيرا. ونوع آخر لا يسهل درسه، ولا يؤمن الزلل فيه، وقد يكثر عنده خلاف النحاة، ويشتد جدلهم، كرفع الاسم أونصبه في مواضع من الكلام"[٢٣]. الخلاف بين النحاة حول التعليل في الرفع والنصب، وبيان عوامل ذلك. كما عاب على النحاة البحث وراء أواخر الكلمات إعرابا

[٢٢] عالم لغوي مصري. درس الأدب العربي في جامعة الإسكندرية. تقلّد منصب عميد كلية دار العلوم عام ١٩٤٧م.

وكان رحمه الله تعالى أحد أعضاء مجمع اللغة العربي بالقاهرة.

[٢٣] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص هـ.

وبناء، ولو أنهم وسعوا نظرتهم للإعراب، وبينوا دلالته على المعنى، وتتبعوا أساليب ربطه في الكلام وتركيب الجمل وتناسقها، لما كان في النحو صعوبة وتعقيد.

من هذا المنطلق، وضع إبراهيم مصطفى إحياء النحو رغبة منه في تغيير المنهج الذي اعتاد عليه النحاة إذ أنهم سلكوا منهجا شكليا في دراسة النحو، واستبعدوا كل ماله صلة بالمعنى. فالمبدأ هنا ليس رفض الإعراب، وإنما تغيير المنهج في التعامل معه، وجعله نظرية فعالة بتطوير أساليب الأداء الوظيفي، وبيان الأدوار الدلالية المتباينة. هذا الاقرار بتغيير المنهج النحوي، واستبداله بمنهج آخر أكثر علمية ودقة في معالجة المسائل النحوية يتأسس على مبدأين أولهما: اعتماد الرفع على الإسناد واعتماد الجر على علامة الإضافة بالحركة أو بالحرف. وثانيهما: إلغاء دور الفتحة التي هي علامة النصب، فهي الحركة الخفية المستحبة. وهي بمنزلة السكون في اللهجات العامية[٢٤].

فالباحث يتفق مع ما قاله بعض الباحثين بأن ماكتبه إبراهيم مصطفى في كتابه لم يكن مجددا، بل كان محييا –كما سماه كتابه بذلك- لنحو قديم ولآراء مسبوق إليها: الإعراب والعامل، فقد وقف قطرب عند الحركات الإعرابية، كما وقف ابن مضاء عند نظرية العامل ودعا إلى إلغائها.

[٢٤] انظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ز.

فمحاولة التجديد "إنما تكون بالرأي الجديد ولا يمكن أن تكون بالرأي القديم لأنه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه"[٢٥]. ومن ثم فإن مساره النقدي باختلاف في المنهج والتطبيق وحسبنا أن نعد مثل هذا العمل اجتهادا رياديا يستحق التشجيع والتنويه. ومع كونه مجرد محاولة جريئة أخفقت في تحقيق الأهداف التي رسمها صاحبها في البدء، فإنها لا تخلو من آراء سديدة وملاحظات غاية في الأهمية.

٢. د.إبراهيم أنيس (ت١٩٧٧م)[٢٦]:

لم يكتف د.إبراهيم أنيس بالتوجيه إلى الإعراب وإنكار دوره في المعنى، بل لاحظ أن بعض قواعد النحو تحتاج إلى إعادة نظر، وتقويم فكر، أذكر منها: التنوين وجمع المذكر السالم.

أ- التنوين:

يقف د.إبراهيم أنيس عند ظاهرة التنوين في العربية؛ لأجل الحصول على ما يخدم طرحه بما جاء به النحاة العرب، فلم ينف عنهم ما قالوه، بل جعل منه دليلا

[٢٥] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ٦٨.

[٢٦] ولد الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر سنة (١٩٠٦م) بحي الدرب الأحمر بالقاهرة. ومرت حياته التعليمية في مسارها الطبيعي حتى حصل على دبلوم العلوم سنة (١٩٣٠م). والتحق بالخدمة سنة (١٩٣٣م) . وابتعث إلى لندن للدراسة في نفس السنة. حصل من جامعة لندن على البكالوريوس في اللغة العربية والأرامية والسريانية سنة (١٩٣٩م). وحصل على الدكتوراه في المقارنات السامية سنة(١٩٤١م). وانتقل إلى رحاب ربه إثر حادث أليم سنة (١٩٧٧م).

صوتيا يدعم به رأيه، ولعله يراه أقوى دليلا لأنه نابع من صميم قواعد النحو، ويمضي مفسرا وجوده، يقول: "أما الاسم المنون فيحتاج منا إلى تفسيرين: أحدها، أغنانا عنه النحاة حين قرروا أن هذه النون تتحرك حين يليها مباشرة حرف ساكن وسموا هذا أيضا بإلقاء الساكنين. أما التفسير الثاني الذي يحتاجه الاسم المنون، فهو خاص بالحركة التي قبل نون التنوين، إذ يجعلها النحاة حركة إعراب تعبر عن الفاعلية أو المفعولية"[٢٧].

فقد ربط د.إبراهيم أنيس التنوين بنظام المقاطع، حيث وجد أن النحاة يحذفون نون التنوين لالتقاء الساكنين. ويلتقي أنيس مع إبراهيم مصطفى في تفسير للتنوين، يقول: "ويعجبني تفسير صاحب إحياء النحو لظاهرة التنوين حين برهن على أنه علامة تنكير"[٢٨].

ب- جمع المذكر السالم وحكمه الإعرابي:

ينظر د.إبراهيم أنيس في جمع المذكر السالم، ويلحق دليل إعرابه بالحروف بالمثنى، ويذكر أنه "لا فرق بين صيغتي الجمع من الناحية الصوتية"[٢٩]، ويسوق شواهد من القرآن للاحتجاج به على أن العرب استعملت للجمع صيغة واحدة من

[٢٧] د. إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ص ٢٥٩-٢٦٠.

[٢٨] د.إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ص ١٥٨.

[٢٩] د.إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ص ٢٧٢.

ذلك قوله تعالى: "وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ"[٣٠]، وقوله: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى" [٣١].

إن ما توصل إليه د.إبراهيم أنيس من نتائج لا يمكن وصفها بأنها نتائج كاملة ونهائية، بل فيها من النقص والاضطراب ما كشف عنه مهدي المخزومي وبينه بالوقوف على الشواهد التي ساقها للاستدلال على مذهبه فأمثلة الوقف كانت كلها أفعال ولا وجود لاسم واحد سكن آخر[٣٢]، مما يؤيد رأي القدماء أن الإعراب أصل في الأسماء، وأنه سيق للدلالة على الفاعلية والمفعولية.

٣. د.مهدي المخزومي (ت١٩٩٤م)[٣٣] :

عرض د.مهدي المخزومي لبعض تعريفات الإعراب التي أشعرته بالاتجاه الفلسفي، ورأى أن أحسن تعريف لديه هو ما يقول فيه: "الإعراب فيما نرى، بيان للكلمة أو الجملة من وظيفة لغوية، أو من قيمة نحوية ككونها مسندا إليه، أو مضافا

[٣٠] سورة النساء: ١٦٢.

[٣١] سورة المائدة: ٦٩.

[٣٢] ينظر: د.مهدى المخزومي مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان ١٤٠٦هـ، ط٣، ص ٢٥٥.

[٣٣] كان رحمه الله تعالى عالم لغة و نحو في اللغة العربية و هو أشهر علماء اللغة في القرن العشرين.

إليه، أو فاعلا أو مفعولا أو حالا أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها الكلمات في ثنايا الجمل، وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام أيضا".[٣٤]

وعلامات الإعراب عنده ثلاث: اثنتان دالتان على وظائف نحوية، والثالثة مفرغة من الوظيفة؛ فالضمة علم إسناد، والكسرة علم إضافة[٣٥]، أما الفتحة فليست علما لشيء خاص[٣٦]. والنتيجة التي نستخلصها هي إفراغ الفتحة من دلالتها لارتباطها الوثيق بالعامل. "وواضح أن هذا الإلغاء يضيع على الناشئة معرفة وظائف هذه الكلمات في الصياغة العربية مما قد يحدث بلبلة في تصوره لأساليبها"[٣٧].

سوى د.مهدي المخزومي بين الإعراب بالحركات والإعراب بالحروف؛ إذ لا فرق بينهما إلا في الكم الصوتي[٣٨]. كما بدأ في وسط أركان مشروعه، وهو إلغاء العامل، وتخليص النحو. منه، إنه يواصل حركة التجديد التي أعلن عنها ابن مضاء، وأعاد طرحها إبراهيم مصطفى، بقوله: "هذا كتاب في النحو، أقدمه بين أيدي الدارسين مبرأ مما علق بالنحو طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته ولامنهجه، فقد

---

[٣٤] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٦٧.

[٣٥] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٦٧.

[٣٦] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٨١.

[٣٧] د.شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف- القاهرة، ط ٢، ص ٢٩.

[٣٨] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٦٨.

ألغيت فيه فكرة العامل إلغاء تاما، وألغي معها ما استتبعت من اعتبارات عقلية لا صلة لها بالدرس النحوي، وأبطلت فيه جميع التعليلات التي لا تستند إلى استعمال، وحذفت من فصوله فصولا لم تكن لتكون لولا شغف النحاة بالجدل العقلي وتمسكهم بفكرة العمل".[٣٩]

ولقد توصل د.مهدي المخزومي إلى إلغاء العامل وكثير من أبواب النحو منها، التنازع، والاشتغال، والإلغاء، وسلب الأفعال والحروف قوتها على العمل والتأثير، وأعاد كثيرا من المنصوبات إلى باب الرفع[٤٠].

٤. د.شوقي ضيف (ت٢٠٠٥م)[٤١]:

وضع شوقي ضيف مشروعه التيسيري في ثلاثة كتب. وقد مر بثلاث مراحل: مرحلة تحقيق كتاب (الرد على النحاة) سنة ١٩٤٧، ثم تأليف كتابين: الأول (تجديد النحو) سنة ١٩٨٢ م، والثاني (تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا) سنة ١٩٨٦م.

وقد بين خطة مشروعه التي قسمها إلى ثلاث مراحل تمت فيها دراسة ستة أسس على النحو التالي: فأما الأسس الثلاثة الأولى، فكان المنطلق فيها: إعادة تنسيق

[٣٩] ينظر: د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، دار الرائد بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

[٤٠] د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٨٤.

[٤١] أديب وعالم لغوي مصري والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري.

أبواب النحو[٤٢] وكذا إلغاء الإعراب التقديري والمحلي[٤٣]، وأن لا نتجاوز إعراب الكلمة إلا بما يصحح النطق[٤٤]. وأما الأساس الرابع، فخصه شوقي ضيف لضبط الحدود والأبواب النحوية [٤٥]. وأما الأساسان الخامس[٤٦] والسادس[٤٧] : فكانا للحذف والزيادة: حذف ما يراه زائدا، وزيادة نواقص ضرورية في النحو التعليمي.

٥. د.تمام حسان (ت٢٠١١هـ)[٤٨]:

[٤٢] د.شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢م، ص٤.

[٤٣] د.شوقي ضيف، تجديد النحو، ص ٢٥-٢٦.

[٤٤] د.شوقي ضيف، تجديد النحو، ص ٢٩. ينبغي الإشارة إلى أن الأسس الثلاثة الأولى وضعها د.شوقي ضيف عند تحقيقه لكتاب (الرد على النحاة) سنة ١٩٤٧م.

[٤٥] من أصعب المسائل في العلم الوقوف على ماهية الشيء، حيث نجد اختلافا بين النحاة القدامى في تعريف باب من أبواب النحو. وقد لمس د.شوقي ضيف اضطرابا، وعدم دقة في تعريفاتهم. ومن الأبواب التي وقع فيها الاضطراب حسب زعمه؛ المفعول المطلق. وللمفعول المطلق صيغ كثيرة تنوب عنه تتمثل في: مرادفه، اسم الإشارة، ضميره العدد، الآلة، كل، وبعض. وقد وقف د.شوقي ضيف عند تعريف ابن هشام- وزعم أنه لا يتضمن هذه الصيغ، ولهذا ارتأى أن يضع تعريفا آخر بديلا أكثر دقة، يقول فيه: "المفعول المطلق اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يبينه ضربا من التبيين". (تجديد النحو، ص ٣١.)

[٤٦] د.شوقي ضيف، تجديد النحو، ص ٣٣.

[٤٧] د.شوقي ضيف، تجديد النحو، ص ٤١-٤٢

[٤٨] ولد بقرية الكرنك بمحافظة قنا بصعيد مصر، أتمَّ حفظ القرآن الكريم سنة ١٩٢٩م، ثم غادر قريته ليلتحق بمعهد القاهرة الأزهري عام ١٩٣٠م، ليحصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٥م. وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٣٩م وحصل على دبلوم دار العلوم عام ١٩٤٣م ثم إجازة التدريس عام ١٩٤٥م، ولم يكد يبدأ الدكتور تمام حسان حياته العلمية معلمًا للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية عام ١٩٤٥م، حتى

انكب د.تمام حسان على التراث النحو العربي، وغرف من ينابيعه الأصيلة، ووقف على آراء في غاية الدقة والعلمية، تنبض بالفكر التجديدي، وتضع النحو في مساره الصحيح.

ميز د.تمام حسان بين ثلاثة معان هي: المعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي، والمعنى الدلالي. ويقصد بالمعنى الوظيفي: المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية والإضافة، وأما المعنى المعجمي: فهو ذلك المعنى المستخلص من الكلمات المفردة ومجموع هذين المعنيين يكون لدينا معنى المقال، أو المعنى اللفظي للسياق وبعبارة علماء الأصول ظاهر النص، وتتمثل هذه المعاني فيما يسميه د.تمام حسان بالمعاني المقالية التي ترتبط بفنون الكلام، فتكون تراكيب وجملا تخضع للتحليل والنقد.

فإذا كان الإمام الجرجاني(ت٤٧١هـ) يربط المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي ويؤكد على أهميته في إبراز المعنى وتقوية النظم[٤٩] فإن د.تمام حسان فقد فصل بين المعنيين، المعجمي والوظيفي وهذا الفصل جعله يبتعد عن مفهوم التعليق وفكرته عند الجرجاني.

الخاتمة

حصل على بعثة علمية إلى جامعة لندن عام ١٩٤٦م، لينال درجة الماجستير في لهجة الكرنك من صعيد مصر، ثم يحصل على الدكتوراة في لهجة عدن.

[٤٩] انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص، ٣٠٠-٣٠١.

يستخلص الباحث من الكلام السابق، أن للنحو صنفين؛ أحدهما التعليمي والآخر النحو العلمي. فالتعليمي يحتاج فيه المتعلم إلى دربة وحسن فهم، ويكون موجرا غير جامع لكل مسائل النحو. وأما العلمي ففيه يخلص النحوي إلى وضع خلاصة أفكاره بدقة وعناية، ويشمل خصائص النحو ومميزاته.

المراجع

محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي؛ نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض ١٩٨١م.

الشيخ أحمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

د.كمال بشر، في اللغة العربية ومشكلاتها، دار غريب، القاهرة ٢٠١٢م.

د.محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة٢٠١١، ط١.

أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

د.جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دا الفارابي، بيروت ٢٠١٣م.

د.عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح ١٩٥٧م، ص (د).

د.مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ١٩٨٦م، ط٢.

محمد أحمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، مصر.

د.بوبكر حسيني ود.سعاد شرقاوي، تيسير النحو وتجديده ضرورة وخطورة، مجلة الأثر، الجزائر ٢٠١٥م، العدد ٢٣.

د.عبد السلام المسدي، تجديد النحو؛ أبعاده وحدوده، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر ٢٠١٢م.

ابن مضاء (ت٥٩٢هـ)، الرد على النحاة، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة١٩٧٩هـ، ط١.

إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م.

حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

د.مهدى المخزومي مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان ١٤٠٦هـ، ط٣، ص ٢٥٥.

د.شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف- القاهرة، ط ٢، ص ٢٩.

د.مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، دار الرائد بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

د.شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢م،

محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

 Copyright © 2015, ISSN: 2339-2882, E-ISSN: 2620-5351